خطبة صلاة الجمعة 3/ 12/ 2021 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

## (الحياء عند النبي ﷺ، وكيف نتحلى بها)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وقال سبحانه مخاطباً نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

أخرج الإمام الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكم إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِني مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُم أخلاقاً**».

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**» وفي رواية البزار «**مكارم الأخلاق**».

مع مطلع شهر ربيع الأول شهر ولادة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بدأنا سلسلة جديدة من الخطب تناسب الزمان والاحتياج عنوانها: (أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف نتحلّى بها).

وهذه الخطبة التاسعة وعنوانها:

**الحياء عند النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف نتحلى بها.**

**أيها الإخوة:**

سبق أنّ الخُلق هو اسم لصورة الإنسان الباطنة، كما أن الخِلْقة اسم لصورته الظاهرة. (لسان العرب).

والأخلاق تكون فطرية وتكون مكتسبة، فمن فطره الله على خلق حسن فليحمد الله ومن لم يجده في نفسه فليتدرب على اكتسابه، وهذا الواجب العملي الأهم على مستمع هذه السلسلة.

**أيها الإخوة:**

الحياء انقباض في النفس يمنع من فعل القبائح، فإذا رأيت الرجل يتحرج من فعل ما لا ينبغي، أو رأيت حُمرة الخجل تصبغ وجهه إذا بدر منه ما لا يليق، فاعلم أنه حيي كريم، وعكسه بعكسه.

وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأكثرها نفعاً، فلولا الحياء من الخالق أو من الخلائق لم يُقْرَ ضيف، ولم يوفَ بوعد، ولم تؤدّ أمانة، ولم تُقضَ لأحد حاجة.

لولا الحياء من الخالق أو الخلائق لم يؤدّ رجلٌ فريضة ولا سعى لنافلة، ولم يصل رحما ولا برّ والداً؛ ولا تحرّى الجميل فآثره، والقبيح فتجنّبه.

لولا الحياء من الخالق أو الخلائق لم تُستَر العورات، ولا عُفِيَ عن الزلات، وما امتنع امرؤ من فاحشة ولا كف عن عوراء طائشة.

ولهذا كان الحياء من سنن المرسلين جميعاً، وإن لكل دينٍ خلقاً وخلق هذا الدين الحياء.

وإذا كان حديث اليوم عن الحياء عند النبي صلى الله عليه وسلم وكيف نتحلى به، فإليكم هذه المواقف من السنة المطهرة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أرقَّ الناسِ طبعاً، وأنبلَهم سيرة، وأسرعَهم قياماً بالواجب ونفوراً من الحرام، وكان أشد حياءً من العذراء في خِدْرِها، وكان إذا رأى شيئاً يكرهه يعرفونه في وجهه.

1-أخرج الإمام البخاري عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: تزوّجني الزّبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غيرُ ناضح وغيرُ فرسه، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء، وأحْرِزُ غَرْبَه (أخيط دلوه) وأعجن،... وكنت أنقل النّوى من أرض الزّبير... فجئت يوماً والنّوى على رأسي، فلقيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعه نفر من الأنصار فدعاني، ثمّ قال: «إخ إخ» ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرّجال، وذكرت الزّبير وغيرته، وكان أغير النّاس، فعرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّي قد استحييت فمضى، فجئت الزّبير، فقلت: لقيني رسول الله صلّى

الله عليه وسلّم، وعلى رأسي النّوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب، فاستحييت منه وعرفت غيرتك. فقال: والله لحملك النّوى كان أشدّ عليّ من ركوبك معه).

وهذه واحدة في رعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء المرأة وإقرارِها عليه.

2- وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: بُنِيَ على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بزينب بنت جحش بخبز ولحم، فأرسلتُ على الطّعام داعياً، فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون، ثمّ يجيء قوم فيأكلون ويخرجون، فدعوت حتّى ما أجد أحدا أدعو، فقلت: يا نبيّ الله ما أجد أحدا أدعوه، فقال: فارفعوا طعامكم. وبقي ثلاثة رهط يتحدّثون في البيت، فخرج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فانطلق إلى حجرة عائشة فقال: «السّلام عليكم أهل البيت ورحمة الله»، فقالت: وعليك السّلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك، بارك الله لك. فتقرّى حُجَر نسائه كلّهنّ (تتبعهن واحدة واحدة)، يقول لهنّ كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة. ثمّ رجع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فإذا ثلاثة من رهط في البيت يتحدّثون وكان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم شديد الحياء فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة، فما أدري آخبرتُهُ أو أُخْبِرَ أنّ القوم خرجوا، فرجع... وأنزل الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ...}).

فهاهنا يستحي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الضيف للانصراف مع حاجته لانصرافه.

3- وأخرجا عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنّ امرأة من الأنصار قالت للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: كيف أغتسل من المحيض؟ قال: «خذي فِرْصَة ممسّكة – أي قطعة صوف مطيبة- فتوضّئي بها ثلاثا». ثمّ إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم استحيا فأعرض بوجهه، فأخذتُها فجذبتُها فأخبرتُها بما يريد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم).

فهاهنا يستحي النبي صلى الله عليه وسلم مما ينبغي أن يُستحيا منه، وتنطوي نفسه من البوح به.

فالحياء خُلُق النبي صلى الله عليه وسلم، وهو معروف به، والمتوقع أن يكون الحياء وصفَك، وأن تكون معروفاً به.

اعتاد رجل ألا يدخل بيته إلا مستأذناً ومُعْلِماً أهل البيت بقدومه لئلا يرى منهم ما يكرهون، ومن باب أولى كان لا يفتح في بيت غيره باباً مغلقاً ولا يكشف ستراً مسدلاً، يمنعه الحياء أن يطلع على خاصة الآخرين.

فالحياء انقباض في النفس يمنع من فعل القبائح، والحياء لا يأتي إلا بخير.

اختار أبٌ أقنية الفضاء العلميةَ والدينيةَ والأدبيةَ وحذف الباقيات حفاظاً على حياء أولاده وزوجه ونفسه لئلا ينظر أحدهم إلى ما لا يحل أو يسمع مالا يجمُل.

فحياؤه يمنعه من سماعِ ذلك أو رؤيتِه، والحياء انقباض في النفس يمنع من فعل القبائح، والحياء لا يأتي إلا بخير.

قَدِمَ الخليفة سليمانُ بن عبد الملك مكةَ حاجًّاً، فلما أخذ يطوف طوافَ القُدوم، أبصر سالماً بن عبد الله بن عمر عالمَ المدينة يجلس قُبالة الكعبة في خضوع، فلما فرغ الخليفة من طوافه توجَّه حيث يجلس سالم ثم أقبل عليه وقال: السلام عليك يا أبا عمر ورحمته وبركاته، فقال: وعليك السلام ورحمته وبركاته، فقال الخليفة بصوت منخفض: سلني حاجة أقضها لك يا أبا عمر، فلم يجبه سالم بشيء، فظن الخليفة أنه لم يسمعه فأعاد: رغبت بأن تسألني حاجة لأقضها لك، فقال سالم: والله إني لأستحيي أن أكون في بيت الله عز وجل ثم أسألَ أحداً غيره، فخجل الخليفة وسكت.

الحياء انقباض في النفس يمنع من فعل القبائح، والحياء لا يأتي إلا بخير.

عوَّد شاب لسانه جميل الكلام وحسن القول، وكان إذا انزعج من أمرٍ أو اشتد غضبه منه قال: حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله ونعم الوكيل يكررها.

حفظ أصحابه وأهله منه ذلك، فكانوا يعلمون غضبه من رضاه وسروره من انزعاجه من حسبي الله ونعم الوكيل، لقد منعه حياؤه من الكلام الدون.

والحياء انقباض في النفس يمنع من فعل القبائح، والحياء لا يأتي إلا بخير.

**أيها الإخوة:**

أهم ما في هذه الخطب الواجب العملي منها، **كيف تتحلى بالحياء؟**

الجواب: أربعة تعين على التحلي بالحياء؛ ترك المعاصي وكثرة الذكر ودوام المراقبة ومجالسة من يستحيا منه.

**أوَّلا: ترك المعاصي**: وذلك لأن الذّنوب تضعف الحياء وربما أذهبته بالكلّية، حتّى إنّ من أدمن المعاصي ولم يتب منها لا يتأثّر بعلم النّاس بسوء حاله، ولا باطّلاعهم عليه، بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبح ما يفعل، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحال لم يبق في صلاحه مطمع.

وإذا رأى إبليس طلعة وجهه حيّا وقال: فديت من لا يفلح، وبين الذّنوب وقلّة الحياء تلازم، وكلّ منهما يستدعي الآخر ويطلبه حثيثا، ومن استحيا من الله عند معصيته استحيا الله من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستح من معصيته لم يستح الله من عقوبته.

فأوّل ما يعين على التحلي بالحياء ترك المعاصي لأن من عقوبات المعاصي ذهاب الحياء.

**ثانياً: كثرة ذكر الله تعالى:** لأن الحياء من الحياة، وعلى حسب حياة القلب تكون فيه قوة الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والروح، فكلما كان القلب أحيى كان الحياء أتم. وحياة القلوب بذكر علام الغيوب.

**ثالثاً: دوام المراقبة:** فإذا علم العبد بنظر الحقّ إليه، استحيا من ارتكاب المخالفة، واستقبح الجناية.

**رابعاً: مجالسة أهل الذكر والعلم والحياء:** فقد قال بعض الحكماء: أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيا منه.

إذن هي أربعة تعين على التحلي بالحياء ترك المعاصي وكثرة الذكر ودوام المراقبة ومجالسة من يستحيا منه.

**أيها الإخوة:**

في شهر ربيع أكثروا من الصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه من صلى عليه صلى عليه ومن سلم عليه سلم عليه، وتدارسوا مع من حولكم حديثه صلى الله عليه وسلم وأخلاقه، وسنته وسيرته، ليكون النبي حاضراً فينا وتكون سنته ماثلة بيننا.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

والحمد لله رب العالمين